

(٨)

## السيدة جويرية بنت الحارث رضى الله عنها

العامان الرابع والخامس الهجريان كانا حافلين بالأحداث والوقائع الجسام فى المدينة وما حولها، وطمع الطامعون فى توجيه ضربات يرجون منها قضم ظهر الدولة الإسلامية الناشئة، تلك الدولة التى قامت للقضاء على قوى الباطل ومعاقلة الشرك والوثنية.

فكانت غزوة الأحزاب نافرة من وسط الجزيرة إلى شمالها لتدك صرح الإسلام فى المدينة.

وكان تخاذل المنافقين وانفلاتهم من جيش الدفاع عن المدينة الذى خرج لملاقاة العدو قبل الاقتحام، وأحدثوا بذلك شروخاً فى بناء القوة التى خرجت للدفاع عن الحرمات، وكان مكر اليهود فى المدينة ومحاولتهم نصرة قريش على المسلمين ناقضين العهد المبرم بينهم وبين النبى ﷺ الذى عقده بعد قدومه إلى المدينة ورعاه المسلمون حق الرعاية، ولكن يد الله كانت مع النبى وصحبه، فزلزل الله الأرض تحت أقدام قريش وحلفائها، وهزمهم شر هزيمة.

ثم التفت المسلمون نحو يهود «الخيانة» وحاصروهم فى  
حصونهم حتى اضطروا للتسليم ومغادرة المدينة .

وما كاد العرق يجف والسيوف تغمد حتى وردت الأخبار  
للنبي بأن بنى المصطلق كَوَّنوا جيشاً وهم فى الطريق إلى المدينة  
لمحاربة النبي والمسلمين، فجهز رسول الله ﷺ جيشاً قوياً  
لملاقاتهم، وهزم المسلمون بنى المصطلق، وأسروا منهم ما أسروا،  
وجبوا من الغنائم ما جبوا، وتلاحقت بشرىات النصر على النبي  
وصحبه، ورفرت رايات الانتصار تهتف بحمد الله على ما وهبهم  
من النصر والتأييد .

وكان ممن وقع فى الأسر من نساء بنى المصطلق ابنة سيد بنى  
المصطلق (الأميرة): برة بنت الحارث بن أبى ضرار، وقعت فى  
سهم ثابت بن قيس، فكاتبته على نفسها ليرسلها سراحها وتعود  
حرة كما كانت<sup>(١)</sup> .

هذه مخاطرة أقدمت عليها برة، ولم تكن تملك قيمة الفدية  
التي تعهدت ببذلها لسيدها، إنها غريبة فى بلد غير بلدها فماذا  
تَفْعَلُ؟

هداها تفكيرها إلى أن تذهب إلى نبي الرحمة، ولم يمنعها

---

(١) كاتبته: أى تعهدت له بدفع فدية من المال تدفعه له فى نظير إخلاء سبيلها  
وعتقها من الأسر، والمكاتبة أو الفداء إحدى الطرق المشروعة فى فكاك  
الأسرى .

عداء قومها للنبي والخروج لمحاربتة أن تقصده وترجو منه أن يزيل كربها، فتوجهت إليه وهو فى غرفة عائشة أم المؤمنين، واستأذنت فى الدخول عليه، وكلها أمل أن نبى الرحمة سيزيل ما بها من كرب.

قالت له بعد أن قصت عليه قصتها: جئتُك استعينك على أمرى.

فرق لها قلبه الرحيم، وتحركت فى نفسه مشاعر العطف والمواساة، وإزالة عشرات ذوى المروءات من الناس، فقال لها رسول الله ﷺ: «هل لك فى (ما هو) خير من ذلك»؟

قالت: وما هو؟

قال: «أقضى عنك الفدية وأتزوجك».

قالت: وهى تكاد تطير من الفرح والسرور: «نعم يا رسول الله».

ثم قدم أبوها سيد قومه بنى المصطلق، وعرض على النبى ﷺ أن يدفع فديتها وتذهب ابنته معه، فقال ﷺ: «أرأيت إن خيرتها أليس قد أحسنت»، قال أبوها: بلى - يعنى قد أحسنت - فسألها أبوها فقالت: «اخترت الله ورسوله».

إنها سارعت إلى إعلان إسلامها فور أن تعهد لها رسول الله ﷺ بدفع فديتها.

وها هي ذي تكرر إعلان إسلامها في حضور أبيها أمير بني المصطلق، ثم تتوالى المفاجآت السارة:

\* فهذا أبوها لم يلبث أن يعلن إسلامه فقال يخاطب رسول الله ﷺ: «أشهد أنك رسول الله حقاً».

\* ثم يسرى خبر زواج النبي ﷺ من الأميرة ابنة أمير أو ملك بني المصطلق، فيسارع المسلمون إلى عتق كل أسرى بني المصطلق؛ لأنهم أصبحوا أصحاب رسول الله ﷺ، وقد عمت الفرحة مائة بيت في بني المصطلق ينتمى الأسرى إليها.

\* ويعود الأسرى إلى موطنهم ويسرى الخبر في بيوت بني المصطلق فيدخلون في الإسلام جميعاً، بعد أن سحرتهم سماحة وأخلاق الرسول الكريم وأصحابه الأبرار، ولذلك عدت برة أعظم النساء بركة على قومها، وكفى أنهم اعتنقوا الإسلام جميعاً بسببها.

وغير النبي اسمها من برة إلى «جويرية» وعرفت بهذا الاسم الجديد، ونسى الناس اسمها الأول «برة» إلا كتاب السيرة حين يقصون قصتها.

هذه هي قصة زواجه ﷺ من جويرية بنت الحارث سيد بني المصطلق، والقارئ الكريم يستطيع - بكل وضوح - أن يستخرج من وقائع القصة السبب النبيل الذي حمل محمداً على التزوج من

جويرية - رضى الله عنها. إنه الرحمة والمواساة، وإقالة عثرات ذوى المروءات وأن ما ترتب على هذا الزواج من دخول بنى المصطلق جميعاً فى الإسلام ليدفع بكل قوة وحسم تلك التهمة التى تمالأ خصوم الإسلام على إلصاقها بصاحب الرسالة الخاتمة من أنه ما توسّع من دائرة التزوج بالنساء إلا لفرط ميوله إلى إشباع شهوته الجنسية؟ فما أبعد سيرته الطاهرة عن هذا «الوحد» الذى يحاول هؤلاء الكارهون لما أنزل الله أن يلطخوا به سيرته العطرة، وهم فى هذه المزاغم يمدحونه من حيث أرادوا أن يذموه، فهب أن محمداً ﷺ كان ذا ميول عارمة للمعاشرة الزوجية، فكفاه نبلاً وشرفاً وطهارة أنه سلك فى إشباعها مسلك الزواج الحلال العفيف النظيف.

وهم حين يروجون عنه هذه الأباطيل يعيشون فى بيئات لا تعرف للعفة والطهارة طريقاً، وإنما تعرف إشباع هذه الغرائز عن طريق المخادنة، أو تحت غطاء الحرية الشخصية مع تفسى الدعارة فى مدارسهم ومعاهدهم حتى بين الناشئين والناشئات، والأبناء غير الشرعيين فى مجتمعاتهم تفوق نسبتهم فى بعض الدول نسبة الأبناء الشرعيين؟

\* \* \*